فقد استبرأ لدينه وعرضه

أيها المسلمون:

من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)). متفق عليه

عباد الله، إن هذا الحديث أصل عظيم في الورع، وحفظ الدين، وصيانة العرض، وإصلاح القلب، ولذلك قال العلماء: إنه أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام.

أيها المؤمنون:

تأملوا هذا التوجيه النبوي العظيم:

((**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**)).

إن المسلم لا يكتفي باجتناب الحرام الواضح، بل يبتعد كذلك عن الأمور المشتبهة التي يخشى أن توصله إلى الحرام، أو توقع الناس في سوء الظن به.

فالشبهة هي الأمر الذي يلتبس حكمه على كثير من الناس، فلا يتبين لهم هل هو حلال أم حرام.

أما أهل العلم الراسخون فيعرفون كثيرًا من هذه المشتبهات بالأدلة والقواعد الشرعية، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يعلمهن كثير من الناس))، ولم يقل: لا يعلمهن أحد.

أيها المسلمون: لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم ثمرة ترك الشبهات أمرين عظيمين:

- **أولهما: سلامة الدين.**
- **وثانيهما: سلامة العرض.**

أما سلامة الدين؛ فلأن من اعتاد الوقوف عند حدود الله، والبعد عن المشتبهات، بقي دينه نقيًا من الآثام، بعيدًا عن أسباب الوقوع في الحرام.

وأما سلامة العرض؛ فلأن الناس إذا رأوا الإنسان يتجنب مواطن الريبة، سلم من ألسنتهم، ولم يجدوا سبيلاً للطعن فيه.

ولهذا كان السلف رحمهم الله يفرون من مواطن التهمة فرارهم من الحرام نفسه.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلِّم أمته ذلك عمليًا، فلما كان مع زوجته صفية رضي الله عنها، فرآه رجلان من الأنصار، قال لهما: ((على رسلكما، إنها صفية بنت حيي))، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا)). رواه البخاري من حديث صفية رضي الله عنها

فإذا كان هذا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن دونه؟

عباد الله،

لقد كثرت الشبهات في هذا الزمان حتى أحاطت بالناس من كل جانب.

- شبهات في الأموال.
- شبهات في المعاملات.
- شبهات في الوظائف.
- شبهات في المكاسب.
- شبهات في وسائل الإعلام.
- شبهات في مواقع التواصل.
- بل حتى في المآكل والمشارب والملابس.

وأصبح بعض الناس يتساهل في كل شيء، فإذا قيل له: هذا فيه شبهة، قال: الناس كلهم يفعلونه.

وهذا ليس ميزانًا شرعيًا، فإن الحق لا يعرف بكثرة السالكين، وإنما يعرف بالدليل.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ومن الشبهات أيضًا:

- النظر إلى ما لا يحل بحجة التسلية.
- وسماع المحرمات بحجة الثقافة.
- ومصاحبة أهل الفساد بحجة الدعوة.
- والخلوة بالأجنبية بحجة العمل.
- والتوسع في الاختلاط بحجة الضرورة.

فإن الشيطان يبدأ بخطوة ثم يجر صاحبها إلى ما بعدها.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**)).

أيها المؤمنون،

إن الراعي العاقل لا يقرب حدود الأرض المحمية؛ لأنه يعلم أن غنمه قد تنفلت فتدخل فيها.

وكذلك المؤمن لا يقرب حدود الحرام؛ لأنه يعلم أن النفس ضعيفة، وأن الشيطان لا يمل من الإغواء.

ومن هنا قال بعض السلف: من عرَّض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن.

وقال آخرون: من أكثر من المباحات أوشك أن يقع في المحرمات.

عباد الله،

إن الشيطان لا يأتي العبد غالبًا فيقول له: ازنِ، أو اسرق، أو ارتكب الكبيرة مباشرة، وإنما يبدأ معه بالمشتبهات، ثم بالمكروهات، ثم بالصغائر، حتى يجره إلى الكبائر.

ولهذا كان الورع حصنًا منيعًا يحفظ المسلم من الانزلاق.

وقد قال الحسن البصري رحمه الله: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام."

وقال الثَّوريُّ: إنَّما سُمُّوا المتَّقين؛ لأنَّهم اتَّقَوا ما لا يُتَّقى.

أيها المسلمون،

إن من صور اتقاء الشبهات:

- أن يترك المسلم المال الذي يشك في حله.
- أن يبتعد عن العقود المحرمة أو المشتبهة.

- أن لا يدخل في معاملات لا يعرف حكمها حتى يسأل أهل العلم.
- أن يحذر من الرشوة المغلفة بالهدايا.
- ومن الربا الذي يغير اسمه ولا تتغير حقيقته.
- ومن الغش والتدليس والخداع.
- ومن الأموال المختلطة بالحرام.

فإن المال الحرام يقسي القلب، ويمنع إجابة الدعاء، ويذهب البركة.

والحمد لله

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، واعلموا أن النجاة في الدنيا والآخرة إنما تكون بلزوم أمر الله، والوقوف عند حدوده، والبعد عن الشبهات التي تجر صاحبها إلى الوقوع في المحرمات.

أيها المسلمون، إن من وفقه الله لترك الشبهات فقد ساقه إلى خير عظيم، ومن رحمة الله بعباده أنه جعل أسبابًا تعينهم على ذلك، فمن أهمها:

أولًا: تعظيم الله سبحانه وتعالى في القلب.

فإذا امتلأ القلب بإجلال الله وتعظيمه، عظم أوامره ونواهيه، ولم يقدم العبد على أمر حتى ينظر: أيُرضي الله أم يُسخِطه؟ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. فمن عظم الله في قلبه هانت عليه شهواته، وعظم عنده الوقوف عند حدود ربه.

ثانيًا: تعلم أحكام الدين.

فإن كثيرًا من الناس يقع في الشبهات بسبب جهله، وربما أكل الحرام أو تعامل به وهو لا يشعر.

ولهذا أمر الله بالرجوع إلى العلم، فقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقال جل وعلا: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)).

فكلما ازداد العبد علمًا، كان أبصر بالحلال والحرام، وأبعد عن موارد الشبهات.

ثالثًا: سؤال أهل العلم.

فليس من العقل، ولا من التقوى، أن يقدم المسلم على معاملة أو عقد أو تصرف يجهل حكمه، ثم يسأل بعد وقوعه فيه، بل الواجب أن يسأل قبل العمل؛ امتثالًا لأمر الله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فالعلماء الأمناء هم الأدلاء إلى طريق السلامة.

رابعًا: صحبة أهل الورع والصلاح.

فإن الجليس الصالح يذكرك إذا نسيت، وينصحك إذا أخطأت، ويعينك على طاعة الله، ويبعدك عن مواطن الشبهات. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)). رواه أبو داود عن أبي هريرة

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: ((مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...)).

فمن لازم أهل الصلاح اكتسب من أخلاقهم وورعهم، ومن صاحب أهل التساهل هان عليه أمر الدين شيئًا فشيئًا.

خامسًا: مراقبة الله في السر والعلن.

وهي من أعظم أسباب الورع، فإن العبد إذا استحضر اطلاع الله عليه، وأنه يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره ونجواه، استحيا أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)). رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب.

فمن عمر قلبه بالمراقبة، سهل عليه ترك الشبهات قبل المحرمات.

أيها المؤمنون، لقد ختم النبي ﷺ هذا الحديث العظيم بقوله: ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)).

فصلاح القلب هو أصل كل صلاح، وفساده أصل كل فساد.

فإذا امتلأ القلب بالإيمان، وخشية الرحمن، ومحبة الطاعة، نفر من الشبهات، واستثقل الحرام، كما ينفر الصحيح من الطعام الفاسد.

وأما القلب المريض، فإنه يتتبع الرخص، ويتعلق بالمتشابهات، ويبحث عما يوافق هواه، ويهون عليه اقتحام حدود الله، حتى يقع في الحرام وهو لا يشعر.

ولهذا كان السلف الصالح يحذرون من التساهل في المشتبهات، لأن من تهاون بالصغار أوشك أن يقع في الكبار، ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

فنسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، وأن يرزقنا الورع، وأن يجنبنا الحلال المشتبه فضلاً عن الحرام المحقق، وأن يجعلنا ممن إذا اشتبه عليه أمر تركه ابتغاء مرضاته، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله